تبقى من حرب تشرين ، بعد سنتين من وقوعها ، ينحصر في هاتين المشكلتين . وان كانت الازمة الاستراتيجية الاسرائيلية لم تعط حتى الآن ثمارا تذكر بالنسبة للعرب ، فان ذلك لا يعود الى « طبيعة العدو » ومناوراته فقط ، وانما يعود ايضا الى « طبيعة العرب » وتشتتهم ومواقفهم المنفردة المتناقضة .

مرت اسرائيل ، خلال حرب تشرين وبعدها ، بأزمة خانقة استمرت فترة غير قصيرة كان سببها الهجوم العربي العسكري — السياسي المنسق ضدها واستمرار هذا التنسيق ، نسبيا ، فترة ما بعد انتهاء الحرب . والدافع لهذه الازمة هو الشعور الذي ساد لدى معظم الدوائر الاسرائيلية بأن اسرائيل وصلت في نهاية الامر الى المرحلة التي ينبغي عليها فيها مواجهة عالم عربي موحد ، تجاهها على الاقل . ولوحظ خلال هذه الفترة بروز انقسامات عديدة (واحيانا خطيرة) في الرأي والموقف بين العديد من مخططي السياسة الاسرائيلية وزعماء الاحزاب وبعض القادة ، بينما راح البعض يطالب نتيجة لذلك بادخال تغييرات ، تكاد تكون جوهرية ، على السياسة الاسرائيلية برمتها . ويمكننا القول ان تلك الحملة الداعية الى التغيير ، استنادا الى « نوعية » وتأثير الفئات التي بادرت اليها داخل النظام الاسرائيلي ، ما كانت لتمر دون ان يحصل العرب على نتيجة منها لو استمروا في ضغوطهم من خلال موقف موحد . ولكن يبدو ، من ناحية ثانية ، ان اسرائيل وأصدقاءها قاموا بحملة مضادة من الضغوط اسفرت عن « ارهاب » بعض العرب وحملتهم على التراجع ، سرا على الاقل ، عن بعض مواقفهم ، خاصة لجهة مطالبتهم بحل القضية الفلسطينية ، لقاء اغراءات ووعود قدمت لهم . وكانت النتيجة أن اقتصرت انجازات العرب السياسية ، بعد سنتين من تشرين ، على انسحاب اسرائيلي من ما تقل مساحته عن ٥ ٪ من مساحة الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ ، ودون أن تظهر أية بادرة تدل على النية لحل أي من المشاكل الاساسية في الصراع العربي — الاسرائيلي ، وعلى رأسها مسألة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

لقد تمكنت اسرائيل من تحقيق هذا ، مع الاصرار على موقفها الحالي ، عندما استطاعت حمل بعض الدول العربية على السير على طريق التسويات الجزئية . وليس في هذا الموقف ، من جهة اسرائيل بالطبع ، اية غرابة ، اذ منذ استطاع الكيان الصهيوني في فلسطين تثبيت جذوره والاعلان عن نفسه كدولة سنة ١٩٤٨ ، استطاعت بعد الحرب التي نشبت اثر ذلك فرض اتفاقيات هدنة منفصلة على الدول العربية المجاورة ، واحدة بعد الاخرى ، لا يزال الاسرائيليون — دائما وابدا — يبذلون كل ما في وسعهم لتجزئة الصف العربي والتعامل مع كل دولة او جهة على حدة . وهذه الاتجاهات في السياسة الاسرائيلية مكشوفة الى درجة لا تخفى معها على اي عاقل او مراقب للصراع العربي — الاسرائيلي ، بل ان الاسرائيليين انفسهم يتحدثون عن ذلك صراحة ، والامثلة في هذا المضمار أكثر من أن تحصى . ولكن رغم ذلك تصر بعض الانظمة ، التي تتغير هويتها من حين لآخر ، حسب الظروف ، على الوقوع في الخطأ الكلاسيكي اياه وتتخذ موقفا منفردا خاصا بها ، سرعان ما ينعكس على الوضع العربي العام ويشله . وتاريخ الصراع العربي — الاسرائيلي ، خلال ربع القرن الاخير ، يظهر انه ما من دولة او نظام ، الا ووقعا في هذا الخطأ في مرحلة من المراحل . واذا أمعنا النظر في الوضع الراهن ، والركود العسكري والسياسي الذي يسيطر عليه ويضر بمصالح العرب ، نرى أن مسؤولية ذلك غير ناجمة عن مواقف اسرائيل وحلفائها ومناوراتهم فقط ، بل أن الدول العربية ، على اختلاف انظمتها واتجاهاتها ، تتحمل ايضا جزءا من المسؤولية . فالدول العربية الغنية ، مثلا ، لم تدفع مالا بما فيه الكفاية ،